تعقيب على البحث الموسوم:
رسالة من سلطان المغرب إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني إلى الشريف سعد بن زيد سلطان الحرمين الشريفين
(١١٠٥هـ/١٦٩٣م)

سبق أن نشرت في مجلة الدارة الغراء، العدد الثاني، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ، ص ١٠٧-١٤٢، دراسة للرسالة أعلاه، وهي وثيقة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ١١٣٩، وقد نبهني الأخ الأستاذ الباحث حمد بن عبدالله العنقري - حفظه الله - مشكورا بعد نشر البحث، إلى أن الرسالة منشورة بكتاب "العز والصولة في معالم نظم الدولة" لمؤرخ الدولة العلوية مولاي عبدالرحمن بن زيدان، المطبوع في المطبعة الملكية بالرباط، الجزء الأول، ص ٢٧٩-٢٨٧.

البحوث

رسالة من سلطان المغرب
إسماعيل بن الشريف بن علي الحسني
إلى الشريف سعد بن زيد سلطان الحرمين الشريفين
(١١٠٥هـ/١٦٩٣م)(١)

لقد استغربت أولا لنشر هذه الرسالة بهذا الكتاب، في حين اقتصر المؤلف نفسه في كتابه "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" عند ذكره لها بأنه وقف عليها

دون الإشارة إلى مكان ورودها في مصنف آخر من مصنفاته، وتم الاقتصار عند الإشارة إليها، أي كتاب السلطان لأمير مكة الشريف سعد، بقوله: "ونصه كما وجدته بالصفحة الأولى من المجموع المذكور بعد البسملة والصلاة والحمد لله: كتاب مولانا نصره الله (يكمل في المجموع المذكور ص١)"(١)، كما أنه لم يشر لها إطلاقًا في كتابه "العلائق السياسية للدولة العلوية"، والذي هو مظنة ورودها فيه(٢).

بالرغم من بعض الاختلافات الطفيفة بين النصين من حيث الشكل، فإن المضمون واحد، وبالتالي ليس هناك جديد يمكن إضافته لدراستنا للوثيقة سالفة الذكر. لكن هناك ملاحظات خلصت إليها بعد مقارنة نص الوثيقة مع النص المنشور عند مولاي عبدالرحمن بن زيدان لابد من إبدائها وهي كالآتي:

١ - في كلا النصين بتور مختلفة؛ فيكمل بعضها بعضاً:

أ - بالنسبة للبتور الخاصة بالوثيقة وقفنا على ما يلي:

- أشرنا في وثيقتنا المعتمدة إلى بتر في الصفحة الثانية، في حين لحظنا انعدامه واكتمال النص عند ابن زيدان، لكنه لا يؤثر على مضمون تحليل الرسالة ولا على ما خلصنا إليه من استنتاجات. ففي هذا الجزء المكتمل

---

(١) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٠٨.

(٢) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، تقديم وتحقيق عبداللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤٧-٥٥.

عند ابن زيدان إشادة بصلة القربى التي تربط أشراف المغرب من عائلة السلطان إسماعيل بأشراف الحجاز من أسرة الشريف سعد بن زيد، وتذكير بضرورة التعاون والتناصح، وهي أمور ضمناها تحليلنا للرسالة، وقد جاء فيه ما يلي: "... أصول القياس، واعلم - أدام الله إعزازك، وجعل فيما يرضيه ارتياحك واهتزازك(٣) - أن لحمة النسب بيننا لا تخفى عليك وإن كنا في صدر هذا الكتاب المبارك نشير بطرق من منبعها وعنصرها إليك. فقد جمعنا في النسب المتصل الواصل، سيدنا عبدالله الكامل، وأولاده الأشقاء هم أولاد زمعة الأسدية. جدنا الذي تفرعنا عنه وهو ذو النفس الزكية وموسى الجون، وأنتم ذريته وأخوهما إبراهيم، ولا تخفى عنكم حقيقته، فنحن والحمد لله إخوة لأم وأب، وقد أوجب الله تعالى على المسلمين أمورا، وأمرهم بالعمل بها، وامتثال أمره فيها. ونهاهم عن أمور، وأمرهم باجتنابها، وعدم ارتكابها. وأباح لهم أمورا، وخيَّرهم في تركها وفي العمل بها. ونحن ولله الحمد مؤمنون موحدون، وقال سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"(٤)، ولو كنا بالقرب منكم لاستعنا بالله تعالى فيما نشد به أزركم، ونعضد به أمركم، ولاكن [هكذا] حيث شطت الدار، وبعد المزار، فنية المرء أبلغ من عمله، والله يبلغ كل واحد سؤله

---

(٣) الخطأ ربما طباعي، والمقصود هو: اعتزازك.

(٤) حديث متفق عليه.

وأمله، وقد تنوب الأقلام عند تعذر الأقدام، هذا والنصيحة المحضة واجبة بين المسلمين، وعاقبة أدائها وقبولها نافع في الدنيا والدين، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام متكئا في ملأ من أصحابه الكرام ثم جلس، فقال: "الدين النصيحة! كررها ثلاثا فقالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم"(٥)، ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة، وأول ما يبتدئ الإنسان في نصيحته عشيرته الأقربون، وأهل بيته المقربون، قال الله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥]. وما أحسن أداء النصيحة إن كانت من أهلها، ومن محلها وبيتها، وقبولها إذا كانت من ذويها.."(٦).

- أيضا نلحظ بعض الكلمات الناقصة في متن نص الوثيقة بالصفحة الأولى، كعدم ذكر: "وآله وصحبه وسلم تسليما" [ابن زيدان، ص٢٧٩] بعد البسملة والصلاة على سيدنا محمد في بداية الوثيقة؛ وأيضا عدم ذكر: "أيده الله" عند الحديث عن إسماعيل بن علي بن الشريف الحسني، وذلك في ديباجة الرسالة كما هو وارد عند ابن زيدان بالصفحة نفسها أعلاه.

---

(٥) رواه مسلم بالصيغة التالية: "الدين النصيحة ثلاثا، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

(٦) مولاي عبدالرحمن بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

ب - أما البتور الواردة في نص ابن زيدان المنشور فقد غطتها وثيقتنا المعتمدة وهي كالآتي:

- ابن زيدان، ص ٢٨٥: "في حرمه... حرمة"/ الوثيقة ص ١١: "في حرمه وأي حرمة".

- ابن زيدان، ص ٢٨٦: "(ولله عاقبة الأمور)... واتق"/ الوثيقة ص١٣: "(ولله عاقبة الأمور) واخش واتق".

- الصفحة نفسها: "والكيس من الناس من... نفسه"/ الوثيقة ص ١٤: "والكيس من الناس من دان نفسه".

- ابن زيدان، ص٢٨٧: "ويعمل... في بلده... حملتنا محبة ذلك... الشريف... الجناية [خطأ] الظاهرة [خطأ]" انتهى نص ابن زيدان، وفيه بتر في آخره./ الوثيقة ص١٤: " ويعمل بما يرضي ربه في بلده، فقد حملتنا محبة ذلك الحرم الشريف وإيثار ذلك الجناب الطاهر المنيف على تذكرتك ونصيحتك، وقد عودنا الله سبحانه التذكرة والنصيحة لجميع من عرفناه من المسلمين ووجدنا".

- أيضا هناك كلمات ناقصة في نص ابن زيدان مثل: ص٢٨١: "فيما أقامه سيده"/ الوثيقة ص٤: "وقام فيما أقامه فيه سيده".

- في الصفحة نفسها عند ابن زيدان: "سابغ نعمه وآلائه"/ صفحة الوثيقة نفسها: "سابغ نعمه تعالى وآلائه".

- عند ابن زيدان ص ٢٨٢ : "من الاجتهاد والكلام يوم سقيفة بني ساعدة"/ في الوثيقة ص٥ : "من الاجتهاد والكلام ما جرا يوم سقيفة بني ساعدة" .

- عند ابن زيدان ص ٢٨٢ : "أنوف الماردين الفجار"/ الوثيقة ص٦ : "أنوف الماردين من الفجار" .

- عند ابن زيدان ص٢٨٣ : "نرجو أن نفوز بذلك يوم القيامة"/ الوثيقة ص٧: "نرجو من الله أن نفوز بذلك يوم القيامة" .

- ابن زيدان ص٢٨٥ : "وعلى المستضعفين والمساكين وأهل الخير شفيقا"/ الوثيقة ص١١ : "وعلى المستضعفين والمساكين وأهل الخير شفيقا رفيقا" .

- أخيرا عند ابن زيدان ص ٢٨٦ : "قال عز وجل ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ**﴾ الآية إلى فخور"/ الوثيقة ص ١٣، الآية كاملة: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [**لقمان**: ١٧ – ١٨] .

٢ - هناك اختلافات وأخطاء في بعض الكلمات بالمقارنة بين النصين:

أ - بالنسبة للاختلافات:

- نجد في نص ابن زيدان ص٢٨١: "وهو أول أرض مست نسمة رسول الله"/ الوثيقة ص٣: "ومنه أول أرض مست نسمة رسول الله".

- ابن زيدان ص ٢٨١: "وفيها جمع القرآن"/ الوثيقة ص٤: "وبها جمع القرآن".

- ابن زيدان ص ٢٨١: "فطوبى لمن طوقه الله الخلافة"/ الوثيقة ص٤: "فطوبى لمن طوقه الله بطوقها" الضمير يعود على الخلافة التي سبق ذكرها.

- ابن زيدان ص ٢٨١: "واعتبر لما جرى عليه" / الوثيقة ص٤: "واعتبر بما جرى عليه".

- ابن زيدان ص ٢٨١: "إذا كانت الخلافة في بيت من قريش" / الوثيقة ص٤: "إذا كانت الخلافة في بيتها من قريش".

- ابن زيدان ص ٢٨٢: "من أعلى قريش نسبا"/ الوثيقة ص٥: "من علياء قريش نسبا".

- ابن زيدان ص٢٨٢: "فقد جاء ذات يوم"/ الوثيقة ص٦: "فقد جاءه ذات يوم".

- ابن زيدان ص٢٨٢: "حرم الله جسده على النار"/ الوثيقة ص٦: "حرم الله جسده عن النار".

- ابن زيدان ص٢٨٣: "قيدوا النعم بالشكر"/ الوثيقة ص٧: "فبروا النعم بالشكر".
- ابن زيدان ص٢٨٤: "وولاية عملك، ففرحنا لذلك"/ الوثيقة ص٩: "بولاية عملك، ففرحنا بذلك".
- ابن زيدان ص٢٨٤: "ووصيفنا الحاج أحمد"/ الوثيقة ص١٠: "وصيفنا الحاج أحمد".
- ابن زيدان ص٢٨٥: "من لدن رجع من المشرق"/ الوثيقة ص١٠: "فمن لدن رجع من المشرق".
- ابن زيدان ص٢٨٥: "مواصلة كثيرة"/ الوثيقة ص١١: "مواصلة كبيرة".
- الوثيقة ص١٣: "وجاء من بيت الطهارة كان أحسن"/ ابن زيدان ص٢٨٦: "وجاء من بيت الطهارة كان أحسن وأحسن".

ب - بالنسبة للأخطاء:

- ابن زيدان ص ٢٨٢: "وغيرهم متغلبا"/ الوثيقة ص٥: "وغيرهم متغلب"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٢: "وقام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأجاء"/ الوثيقة ص٥: "وقام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأجاد"، وهو الأصح.
- الوثيقة ص٥: "ولكنكم كذا ولكنكم كذا يتمنى عليهم"/ ابن زيدان ص ٢٨٢: "ولكنكم كذا ولكنكم كذا يثني عليهم"، وهو الأصح.

- الوثيقة ص٦: "فمناصب الخلافة شريفة"/ ابن زيدان ص٢٨٢: "فمناقب الخلافة شريفة"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٤: "ولا أردنا معه كلاما"/ الوثيقة ص٩: "ولا أدرنا معه كلاما"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٥: "فهو واحد من اللازمين لأعتاب دارنا العلية بها"/ الوثيقة ص١٠-١١: "فهو واحد من الملازمين لأعتاب دارنا العلية بالله"، وهو الأصح.
- الوثيقة ص١١: "وتجار إن شاء الله عليها"/ ابن زيدان ص٢٨٥: "ونجازى إن شاء الله عليها"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٥: "ابقوني الضعفاء والمساكين"/ الوثيقة ص١٢: "ابغوني في الضعفاء والمساكين" وهو الأصح.
- ابن زيدان ص٢٨٦: "وتكون ضابطا محترما في كل ما هنالك"/ الوثيقة ص١٤: "وتكون ضابطا محتزما في كل ما هنالك"، وهو الأصح، والمقصود أن يتحلى الشريف سعد بن زيد بالضبط والحزم في أمور الحكم.
- ابن زيدان ص٢٨٦: "واعتبارا عما فات عليك"/ الوثيقة ص١٤: "واعتبارا بما فات عليك"، وهو الأصح.
- ابن زيدان ص ٢٨٦: "الجنابة الظاهرة"/ الوثيقة ص١٤: "الجناب الطاهر"، وهو الأصح.

٣ - تخريج الآيات والأحاديث وتحديد تاريخ الوثيقة:

أ - يلحظ أن النص الوارد عند ابن زيدان منشور دون تخريج الآيات والأحاديث، وقد خرجنا منها ما تبقى في هذا التعقيب، خاصة ما تعلق بالجزء المبتور من وثيقتنا.

ب - لم يورد ابن زيدان ما يشير إلى تاريخ إصدار الرسالة ولا إلى الظروف المحيطة بكتابتها، وهو ما حاولنا إبرازه من خلال تحليلنا للرسالة.

بهذه الصورة نكون قد أحطنا بما ورد في النصين من اختلافات وبتور كمل مافي أحدهما الآخر. غير أن تلك الاختلافات الطفيفة والبتور - كما سبق الإشارة إلى ذلك - ليس لها تأثير على مضمون الرسالة العام ولا على الاستنتاجات التي خلصنا إليها في نهاية الدراسة.

أ. د. محمد أمين